المؤتمر الدولي الثاني

لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

السير الذاتية
مصدرا من مصادر البحث العلمي

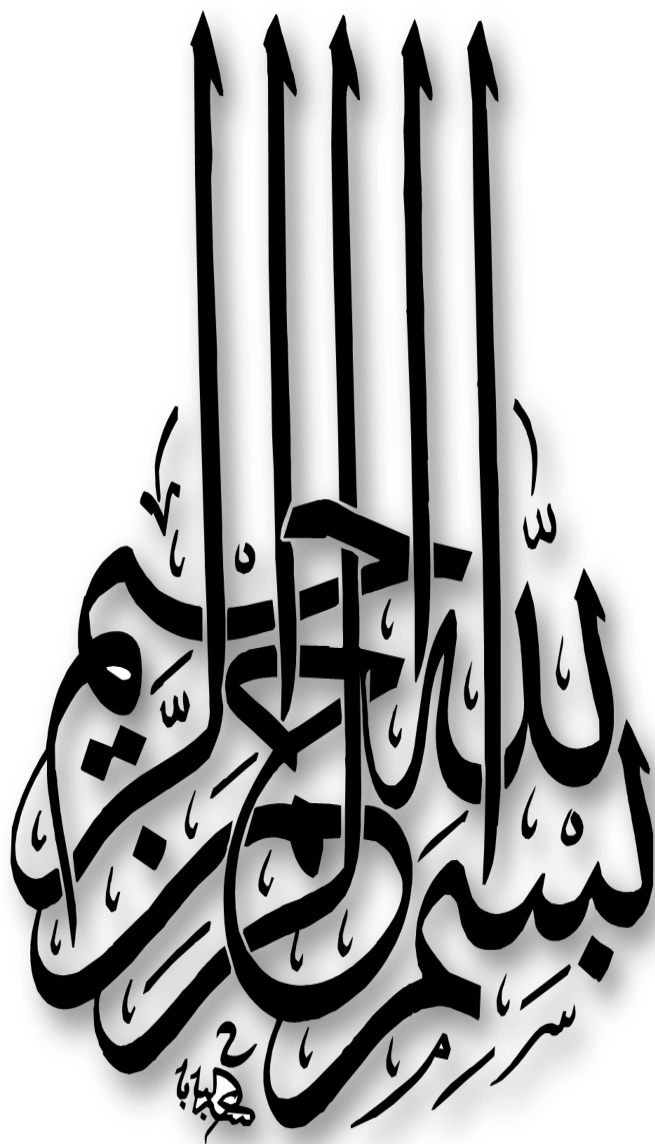
إعـــداد

أ.د خالد فهمي إبراهيم محمد

أستاذ اللسانيات بكلية الآداب بالقاهرة

والخبير بمجمع اللغة العربية

للعام الجامعي: ٢٠٢٤/٢٠٢٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

السير الذاتية مصدرًا من مصادر البحث العلمي

أ.د. خالد فهمي إبراهيم محمد
أستاذ اللسانيات بكلية الآداب بالقاهرة والخبير بمجمع اللغة العربية
البريد الإلكتروني: magdkhalid@yahoo.com

الملخص

يمثل التنظير في ميدان مناهج البحث مجالا بكرا، على الرغم من التقادم النسبي للعناية به في الأكاديميات العربية بتأثير من الغرب في العصر الحديث.

وهو الأمر الذي يفرض على المهتمين بهذا المجال ضرورة البحث عن مصادر غير تقليدية تخدم منهاج البحث، وتعين على خدمة قضاياها ومسائلها، واقتراح حلول لكثير من مشكلاتها، إن على مستوى تعيين المجالات المعرفية، وإن على مستوى الإجراءات والأدوات المنهجية، وإن على مستوى تعيين المنهج أو بعض حدوده...، إلخ. ومن الممكن تصنيف مصادر المنهجية إلى أنواع ثلاثة كبرى، وهى: **[١] مصادر عامة للمنهجية:** وهذا النوع من المصادر يعني بالقواعد العامة التي تحكم العمل في إنتاج البحوث العلمية التي يخضع لها أي بحث في أي مجال معرفي.

[٢] مصادر خاصة (جزئية) للمناهج: وهذا النوع من المصادر متنوع بحسب طبيعة كل علم، فثمة أدبيات لمناهج البحث في العلوم الشرعية، وثانية لمناهج البحث في العلوم العربية، وأخرى لمناهج البحث في علوم الحكمة والتجريب، وفي داخل كل دائرة من هذه الدوائر الكبري أدبيات لمعالجة مناهج أي علم ينضوي تحتها.

[٣] مصادر مكملة لمناهج البحث: ويقصد بهذا النوع الأدبيات التي تعالج مشكلات تحقيق النصوص، ونقدها خارجيا وداخليا ، وتوثيق النقول والمعلومات.

الكلمات المفتاحية: [السيرة، الذاتية، الأكاديمية، مناهج، البحث، العلمي]

Biographies as a Source for Scientific Research

Prof. Dr. **Khalid Fahme Ebrahem Mohammed**
Professor of Linguistics at the Faculty of Arts, Cairo University
And the expert the Arabic Language Academy in Cairo
Email: magdkhalid@yahoo.com

Abstract

Theorizing in the field of research methodologies remains a relatively undeveloped area, despite some attention to it in Arab academic institutions influenced by the West in the modern era. This necessitates the search for unconventional sources that support research methodologies, help address their issues, and propose solutions for many of their problems, whether in defining knowledge domains, methodological procedures, or setting boundaries and limits of research methods, among others. Methodological sources can be classified into

hree main types:

General methodological sources: These concern the general rules governing scientific research production applicable to any field of knowledge.

Specific (partial) sources for methodologies: These vary according to the nature of each science, such as the literature on research methods in Sharia sciences, Arabic sciences, wisdom and empirical sciences, and within each major domain, there are literatures addressing the methodologies of any science under it.

Complementary sources for research methodologies: These include literature dealing with text authentication problems, external and internal criticism, and documentation of transmitted information.

Keywords: (biography, academia , Curricula, scientific research /).

السير الذاتية الأكاديمية

مدخل : في البحث عن مصادر غير تقليدية لمناهج البحث

يمثل التنظير في ميدان مناهج البحث مجالا بكرا، على الرغم من التقادم النسبي للعناية به في الأكاديميات العربية بتأثير من الغرب في العصر الحديث.

وهو الأمر الذي يفرض على المهتمين بهذا المجال ضرورة البحث عن مصادر غير تقليدية تخدم منهاج البحث، وتعين على خدمة قضاياها ومسائلها، واقتراح حلول لكثير من مشكلاتها، إن على مستوى تعيين المجالات المعرفية، وإن على مستوى الإجراءات والأدوات المنهجية، وإن على مستوى تعيين المنهج أو بعض حدوده...، إلخ.

إن بالإمكان تصنيف مصادر المنهجية إلى أنواع ثلاثة كبرى، وهى :

أولا- مصادر عامة للمنهجية:

وهذا النوع من المصادر يعني بالقواعد العامة التي تحكم العمل في إنتاج البحوث العلمية التي يخضع لها أي بحث في أي مجال معرفي، تعرف طبيعته، وتتكلم عن المبادئ العامة التي يلزم احترامها، وتتحدث عن خصائص الباحث وصفاته النفسية والعقلية، وعن القيم الأخلاقية الحاكمة في إنجازها ... إلخ.

وأدبيات هذا النوع متوافرة إلى حد ما، وقد تطورت تطورا ملحوظا؛ بفعل إسهام أجيال الأساتذة من جانب، وبفضل عدد من الترجمات المهمة في هذا المجال من جانب آخر.

ومن أكثر أدبيات هذا النوع انتشارا واستعمالا في العربية:

أ-١٩٤٤م= مناهج البحث العلمي، للدكتور عبد الرحمن بدوي(وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣، ١٩٧٧م)

يقول (ص٧: تنبيه) : "والقواعد التي نسوقها هنا قواعد عامة، أي تعم المجموعات (العلمية) كلها، دون أن تخص علما بعينه. ومن الواضح أن ثمة فروقا نوعية بين المنهج في المجموعة والمنهج في كل علم منها، ولكن البحث

في هذه الفروق موضوع المناهج الجزئية ، وهو ما لم نهدف إليه من هذا الكتاب"!

ب-١٩٤٩م=المنطق الحديث ومناهج البحث، للدكتور محمود قاسم(مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة)

ج-١٩٨٣م= الدليل إلى منهج البحث العلمي، للدكتور أحمد السيد محمد(دار المعارف، القاهرة)

د-١٩٨٩م= مناهج البحث العلمي: أسس وأساليب، للدكتور عماد بوحوش ، والدكتور محمد محمود الذنيبات (مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن)

هـ- ٢٠١٠م=المنطق ومناهج البحث ، للدكتور حسن الشافعي، والدكتور السيد رزاق الحجر(دار الهاني ، القاهرة)

ومن الأدبيات المهمة التي ترجمت ثلاث محاضرات بعنوان:الاستقراء والحدس في البحث العلمي، للسير / بيتر مدور، ترجمها الدكتورمحمد شيا، ونشرتها الهيئة المصرية العامة، بالقاهرة ٢٠١٠ م عن النص الإنجليزي المنشور ١٩٦٨م

ويدخل في إطار المصادر العامة للأدبيات التي ترصد تاريخ مناهج البحث العلمي عند المسلمين، ولعل أكثر كتابين في هذا السياق انتشارا هما:

أ-كتاب فرانتزا روزنتال : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، الذي ترجمه الدكتور أنيس فريحة، وراجعه الدكتور وليد عرفات، ونشرته دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م

ب-كتاب الدكتور على سارة النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، الذي صدر١٩٤٧م، وتوالي نشره، فظهر أخيرا ٢٠٠٨م عن دار السلام ، بالقاهرة.

ويدخل في الإطار نفسه أدبيات كيفية إعداد البحث وكتابة الرسائل، ويعد كتاب الدكتور أحمد شلبي – على الرغم من تجاوزه علميا- ذا أثر في هذا الميدان منذ ظهر ١٩٥٢م وهو كتابه : كيف تكتب بحثا أو رسالة؟ دراسة منهجية لكتابة

البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١٣ ، القاهرة ، ١٩٨١م

ومن الأعمال المهمة في هذا المجال:

أ-كتاب أمبرتو إيكو: كيف تعد رسالة الدكتوراه؟ : تصنيفات وطرائق البحث والدراسة والكتابة ، ترجمة الدكتور على متوفي ، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢م

ب-كتابة الرسائل العلمية الناجحة :دليل إرشادي، خطوة خطوة ، لألن جلايثورن ، ترجمة عبد الله بن عبد العزيز الهلادي، جامعة الملك فيصل ، ١٤٢٨هـ

ثانيا- مصادر خاصة (جزئية) للمناهج :

وهذا النوع من المصادر متنوع بحسب طبيعة كل علم، فثمة أدبيات لمناهج البحث في العلوم الشرعية، وثانية لمناهج البحث في العلوم العربية، وأخرى لمناهج البحث في علوم الحكمة والتجريب.وفي داخل كل دائرة من هذه الدوائر الكبري أدبيات لمعالجة مناهج أي علم ينضوي تحتها، فثمة مصادر لمناهج البحث الأصولي، وثمة مصادر لمناهج البحث اللغوي وهكذا ..إلخ.

ثالثا- مصادر مكملة لمناهج البحث:

وأقصد بهذا النوع الأدبيات التي تعالج مشكلات تحقيق النصوص، ونقدها خارجيا وداخليا، وتوثيق النقول والمعلومات.وثمة عدد من المصادر يتناول – بالمعالجة- كيفية التعامل مع هذه الإجراءات البحثية المهمة.

لكن أحدا من المنظرين في ميدان مناهج البحث لم يتنبه إلى أهمية السير الذاتية الأكاديمية بما هى مصدر مهم جدا يمكن استثماره في مناهج البحث؛ ذلك أن هذه السير الذاتية الأكاديمية صادرة عمن عانى في مسيرة حياته هموم البحث العلمي، ومشكلاته، مما يمكن معه أن تقدم حلولا عملية لكثير من المشكلات على صعيد المنهجيات البحثية، بسبب من تجارب أصحابها الطويلة والعميقة معا.

[٢] السير الذاتية الأكاديمية...مقال في المفهوم والقيمة وحدود المنجز :

[٢-١] المفهوم:

تعد السير الذاتية الأكاديمية فرعا من السيرة الذاتية، وهو ذلك التاريخ الذي يدون فيه شخص ما حياته، غير أنه في حالتنا يعني – في المقام الأول- بحياته العلمية ومراحل تطورها، ومنجزه العلمي، وما قابله في طريق إنجازه، والمشكلات التي عاناها ، وكيفية تغلبه عليها.

والسير الذاتية- كما يعرفها معجم مصطلحات الأدب(٩٦/٢) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢٠١٤م) : "حكاية نثرية يقص فيها روا- هو الكاتب نفسه- سيرة حياته، أو جزء منها بطريقة استرجاعية، ويستوعب جنس السيرة الذاتية المذكرات واليوميات وغيرها"

وميثاق السيرة الذاتية الأكاديمية إن اتفق – في بعض بنوده- مع ميثاق السيرة الذاتية ، فإنه يختلف عنها في اقتصاره تقريبا على ما يتعلق بالمكون المعرفي ومراحله وتطوره للكاتب صاحب السيرة الأكاديمية، وليس فيها إعادة تخليق للأحداث بطريق الخيال وغير ذلك من الفروق.

والباحثون أمام التسمية لهذا الفرع من جنس السيرة الذاتية منقسمون ثلاثة أقسام هى:

أولا- قسم يسميها السيرة الذاتية الأكاديمية.

ثانيا- قسم يسميها السيرة الذاتية الفكرية.

ثالثا-قسم يسميها السيرة الذهنية.

لقد عنى الدكتور محمد الداهي بهذا النوع من السيرة وسماه بالذهنية، واجتهد في إيجاد أنواع متفرعة منه في كتابه : شعرية السيرة الذهنية (رؤية للنشر، القاهرة ،٢٠٠٨م)

إن ما يهمنا هنا هو أن نقرر أن السيرة الذاتية الأكاديمية – بما هى مصدر من مصادر مناهج البحث – نص ينتمي "لجنس يهم بالأساس المفاصل التعليمية

والفكرية لشخصية ذات مركز اعتباري مهم على حد تعبيـــر الـــدكتور محمـــد الداهي (ص٢٤)

وهو الأمر الذي يجعلها بحق مصدرا – وإن يكن ثانويا – من مصادر منـــاهج البحث، لا يمكن تجاوزه في التنظير لإجراءاته وأدواته ومشكلاته.

[٢ -٢] القيمة:

وتمثل السير الذاتية الأكاديمية مجموعة من المحددات التي ترقى بقيمتها، ولكن المأمول هنا استثمارها في ميدان مناهج البحث العلمي، ومن ثم فإن القيمة التي تعلنها كامنة فيما يلي:

أولا- أنها نصوص حافلة بتراجم العلماء بأقلامهم، مما يمثـــل أوثـــق مســـتند لجيواتهم (مصادر لتراجم حياتهم)

ثانيا- أنها نصوص كاشفة عن طريقة تعيين البحوث، واختيـــار نقـــط البحـــث الضيقة وتعيين المشكلات، وافتراض الفروض.

ثالثا- أنها نصوص كاشفة عن تطبيقات الإجراءات البحثية، من جمـــع المـــادة وتعيين مظانها، ومصادرها، وتراتب قيمتهـــا، وتصـــنيفها ، وتحليـــل الآراء، ومناقشة المتعارض منها وكيفية نقض الأخطاء، وهدمها، وطـــرق الاســـتنباط والاستدلال، والترجيح... إلخ.

رابعا- أنها نصوص مهمة في تقييم المصادر، وكيفية التعامل معها، وقراءتها

خامسا- أنها نصوص خطيرة جدا فيما تطلقه من أحكام على علماء عاصـــرهم صاحب السيرة الذاتية الأكاديمية، وتعليل هذه الأحكام، وطبيعة العلاقات العلمية بينه وبينهم.

سادسا- أنها نصوص كاشفة عن المعوقات، وكثير منها متكرر، وكاشـــفة عـــن طرق التغلب عليها، وعن تأثير الظروف والأحداث الاجتماعية والسياسية فـــي التكوين العلمي لصاحب السيرة.

سابعا- أنها نصوص تعلن عن أثر تطبيقات أخلاقيات البحث العلمي.

ثامنا–أنها نصوص كاشفة عن التتابع التاريخي لبحوث صاحب السيرة، ودوائر حركته في خدمة العلم الذي انتدب نفسه للتخصص فيه.

[٢ -٣] المنجز:

تشير المداخل في معجمات مصطلحات الأدب، ودراسات السيرة الذاتيـــة إلـــى معرفة التراث العربي قديما لنصوص تمثل هذا الجنس الأدبي، يذكرون عـــادة للتمثيل على هذه المعرفة كتاب الاعتبار لابن منقذ وطوق الحمامة لابن حـــزم، والمنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي.

لكن أحدا لم يشر إلى معرفة التراث بالسيرة الذاتيـــة الأكاديميـــة، وفـــي هـــذا المضمار يمكننا أن نمثل بكتاب : التحدث بنعمة الله، للسيوطي، والتعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، لابن خلدون.

وربما صح– من بعض الوجوه– إدراج كتب الفهارس التي رواها أصحابها عن مشايخهم من جملة السير الذاتية الأكاديمية، ككتاب فهرست ما رواه ابن خيـــر الإشبيلي عن شيوخه وغيره.

وربما صح كذلك– من بعض الوجوه– إدراج كتب المشيخات– كمشيخة شـــهدة ومشيخة النعال، وبعض كتب البرامج من جملة كتب الســـيرة الأكاديميـــة فـــي التقاليد الذاتية.

على أن العصر الحديث شهد عناية ظاهرة لأدبيات هذا الفرع من جنس السيرة الذاتية، كان أغلبها لأساتذة رواد عانوا البحث العلمي في الجامعـــات المصـــرية العربية من مواقع أستاذيتهم، وحكوا ما جذبهم إلى اختصاصاتهم، وما قدموه من كتابات ، وما تعاطوه من إجراءات في سبيل إنجاز منجزهم العلمي.

وقد تنبهت بعض المجلات الثقافية إلى أهمية هذا النوع من السير، فأفردت مجلة الهلال عددا من كتابها الدوري لعرض جزء من سيرة نفـــر مـــن المفكـــرين، والأدباء والفنانين بأقلامهم، عنونت له بعنـــوان : التكـــوين(ع٥٦٦، فبرايـــر ١٩٩٨م) وقد اتضح الكتاب بما يفيد عنايته بكيفية تكوينهم فكريا وثقافيا فتقـــول المقدمة،(ص٥) :"ويتناول هذا الكتاب نخبة متنوعة من الشخصيات المتألقة فـــي

مجتمعنا ذات الإسهام البارز في حياتنا الفكرية...، لنقترب من حياتهم ...ونشاهد كيف كان التكوين الفكري والثقافي لكل منهم، وإلى أي المدارس ذهبت هذه النخبة، وعلى أي الأساتذة تتلمذت؟ وما ... الفنون التي شكلت ذوقها، وحسها الجمالي؟ وما .. الكتب التي تأثرت بها؟ وبهذه المقدمة الموجزة يظهر لنا كيف يمكن لهذه السيرة الذاتية الأكاديمية أن تدخل بقوة في إطار ما سميناه باسم مصادر مناهج البحث والميادين العلمية المختلفة.

وفيما يلي محاولة لرصد مجموعة من هذه السير الذاتية الأكاديمية؛ في محاولة لاستثمارها في هذا الميدان المهم، المتعلق بمناهج البحث العلمي، وإجراءاته، ومشكلاته، وسنجتهد أن تتوزع هذه النماذج لتغطي الرجل والمرأة، ولتغطي جغرافية العلوم المختلفة، ودوائرها التجريبية والإنسانية ، والاجتماعية ، والأدبية، إلخ (القائمة مرتبة ألفبائيا):

- د.إبراهيم بيومي مدكور: مع الأيام، شيء من الذكريات، كتاب الهلال، القاهرة ، ع٤٧٨، أكتوبر ١٩٩٠م (الفلسفة)
- د.إحسان عباس : غربة الراعي، دار الشروق، عمان ، الأردن، ٢٠٠٦م(الأدب والنقد)
- د. أحمد زكي : حديث الزمان، كتاب الهلال ، القاهرة، ع ٦٠٣، مارس ٢٠٠١م (العلوم)
- د.أحمد هيكل : سنوات وذكريات ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، (الأدب والنقد)
- د. رءوف عباس: مشيناها خطى، كتاب الهلال، القاهرة، ع ٦٤٨، ديسمبر ٢٠٠٤م (التاريخ الحديث والمعاصر)
- د.رضوي عاشور : الرحلة أيام طالبة مصرية في أميركا ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٨٧م(الأدب الإنجليزي)
- د.رضوى عاشور : أثقل من رضوي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٤م (الأدب الإنجليزي)

- د. زكي مبارك : ذكريات باريس ، كتاب الهـــلال ، القـــاهرة ، ع ٦٢٠ ، أغسطس ٢٠٠٢م (الأدب العربي)
- د. زكـــي نجيـــب محمـــود ، قصـــة عقـــل ، دار الشـــروق، القـــاهرة، ١٩٨٨م(الفلسفة)
- د. زكي نجيب محمود ، قصة نفس ، دار الشـــروق، القـــاهرة، ١٩٨٨م(الفلسفة)
- د. سمير أمين: سيرة فكرية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣م (الاقتصاد)
- د. سيد عويس : التاريخ الذي أحمله على ظهري، (١): الجذور والبذور، مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م (الاجتماع والخدمـــة الاجتماعية) (٢)ماء الحياة كتاب الهلال، ع٤٢٩، سبتمبر ١٩٨٦م
- د. شكري محمد عياد : العيش على الحافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م (الأدب والنقد)
- د. عبد الرحمن بدوي: سيرة حياتي، الدار العربيـــة للأبحـــاث، بيـــروت، ٢٠٠٠م (الفلسفة)
- عبد الله عنان: مصر في عيون أبنائها : ثلث قرن من الزمان، كتاب الهلال ، القاهرة ، ع ٤٤٥، يناير ١٩٨٨م (التاريخ الإسلامي)
- د. عبد الوهاب المسيري : رحلتي الفكرية في البذور والجـــذور والثمـــر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠م (الأدب الإنجليزي والفكر الصهيوني)
- د.مصطفى سويف : مسيرتي ومصر في القرن العشرين ، كتاب الهـــلال، القاهرة ، ع٦٠٥، مايو ٢٠٠١م (علم النفس)
- د. منير الغضبان : كشف المستور : أفكاري التي أحيا من أجلها ، دمشق، ٢٠٠٦م (الدراسات الإسلامية ، السيرة النبوية)

[٢ -٣ -١] ملاحظات على منجز السيرة الذاتية:

إن تأمل هذه القائمة المختارة كاشف عن مجموعة من العلامات المقصـــودة في باب فحصها ، بما هى مصدر من مصادر مناهج البحث:

أولا- تضمنت القائمة سيرا ذاتية لأعلام في تخصصاتهم رحلوا عن دنيانا، باستثناء واحد هو الدكتور / رضوى عاشور، مد الله في عمرها، وهو أمر حرصت عليه، ليعطي شعورا باستقرار مـــا يســـتنبط منهـــا، إذ لا مجـــال لتعديلات يمكن ان تطرأ على ما انتهجوه من منهجيات وإجراءات بحثية.

ثانيا- ضمت القائمة سيرا ذاتية أكاديمية لمجموعة أعلام، انتمي غالبهم إلى جيل الرواد الذين افتتحوا أبواب البحث العلمي المعاصـــر فـــي الجامعـــات المصرية والعربية تقريبا أو كانوا من الجيل التالي لجيل المؤسسين العظام.

ثالثا- حرصت القائمة على تنويع الانتماءات المعرفية لأصحاب هذه السير الذاتية الأكاديمية، فشملت المجالات التالية:

أ- العلوم، ومثلتها سيرة الدكتور أحمد زكي.

ب-الآداب(العربية وغير العربية) ومثلتها سير الدكتور إحســـان عبـــاس ، والدكتور أحمد هيكل والدكتورة رضوي عاشور ، والدكتور زكي مبارك ، والدكتور شكرى عياد والدكتور عبد الوهاب المسيري.

ج-التاريخ ، ومثلته سيرة الدكتور رءوف عباس.

ج-الفلسفة ، ومثلتها سير الدكتور إبراهيم بيومي مدكور ، والدكتور زكـــي نجيب محمود، والدكتور عبد الرحمن بدوي.

هـــ- الاجتماع والخدمة الاجتماعية ، ومثلتها سيرة الدكتور سيدعويس.

و- علم النفس، ومثله سيرة الدكتور مصطفى سويف

ز- الدراسات الإسلامية، لاسيما السيرة النبوية، ومثلتها سيرة الدكتور منير الغضبان

ح-الاقتصاد ، ومثلته سيرة الدكتور سمير أمين

وهى قائمة قابلة للزيادة في هذه المجالات نفسها، بحكم وجود مجموعة من السير الذاتية الأكاديمية.

رابعا- حرصت القائمة على تمثيل نوعي الجنس الإنساني(الرجل/ المرأة) صحيح أن تمثيل المرأة جاء قليلا ؛ بسبب من قلة المنجز في هذا الباب أصلا ! لكنها لم تغب على أية حال.

وهذا الحرص على العامل كان مقصودا؛ ليظهر خضوع الباحثين لمتطلبات البحث العلمي، وثبات هذه الإجراءات في حقهما مع اختلاف النوع.

خامسا- حرصت القائمة على تغطية التنوع في الاتجاهات الفكرية لأصحاب السير الذاتية الأكاديمية؛ ليقرر معها ضرورة تعالي المنهجية في البحث العلمي، ومحاولة تحقيق الموضوعية النسبية ، بعيدا عن التوجهات الأيدلوجية الصارمة، وهو ما يفسر ظهور إسلاميين ، ويساريين، وليبراليين ، ومسيحيين في القائمة.

سادسا- حرصت القائمة على تغطية التنوع من جهة المدارس العلمية، فقد ضمت أعلاما كان تكوينهم الأساسي وليد المدرسة الفرنسية، والإنجليزية ،والأميريكية، والأندلسية، والمصرية، ... إلخ.

وهو ما يعني أنه بالإمكان وجود قواسم مشتركة على مستوى العناصر الحاكمة لإنجاز البحوث العلمية، مع تغاير المدارس العلمية، وهو ما يعني أيضا أننا بإزاء رصيد ممتاز من الإجراءات والأدوات البحثية ، يمكن الاختيار منها ، والبناء عليها.

سابعا- حرصت القائمة على اختيار عدد من السير الذاتية الأكاديمية، ظهر من أصحابها نوع وعي بطبيعة ما كتبوه من سيرهم، وهو ما ظهر في بعض العنوانات من وجود لفظة"الفكرية" على ما نرى في سيرة المسيري، وسمير أمين، ومنير الغضبان.

إن هذه الملاحظات التي علقناها على القائمة المختارة من السير الذاتية الأكاديمية تمثل حاشية إيضاحية لما يمكن استخراجه منها، وإفادته.

ذلك أن هذه الملاحظات تستهدف ما كان يحكمني عند اختيار هذه العينة في محاولة لضبط نواتج فحصها في باب العمليات التي تحكم مسيرة العاملين في ميدان البحث العلمي، ولاسيما الدراسات الإنسانية، وعلى وجه التعيين اللغوية والأدبية والشرعية.

[٣] وظائف السير الذتية الأكاديمية
في خدمة مناهج البحث مقال في حدود الاستثمار

لا نبالغ عندما نقرر أن للسير الذاتية الأكاديمية- بما هـي مصـدر مـن مصادر مناهج البحث- وظائف يمكن استثمارها.

وقد فزع إليها نفر من المعاصرين في متابعة ما جد علـى أفكـار بعـض اللسانيين اللغويين) الغربيين المعاصرين، وفحص ما حصله من تطـور فيمـا أنجزه من بحوث.

لقد وقف الدكتور عماد عبد اللطيف في تقديمه لترجمة غيداء العلي لكتـاب فان دايك، الهطاب والسلطة (المجلس القومي للترجمة ٢٠١٤م) أمـام سـيرته الأكاديمية، مستثمرا ما ورد فيها من أجل الكشف عن التحولات المهنية والفكرية التي مر بها، وهو من الاستثمار الذي نشير إليه، يقـول(ص٧):" فـي سـيرته الأكاديمية : من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، يكشف فان دايـك عـن التحولات التي وسمت حياته الأكاديمية المهنية، مستخدما في عنـوان سـيرته تركيبا لغويا يفيد التحول في ذاته"

ثم يعود فيقرر- اعتمادا على فحص السيرة الأكاديمية مرة أخرى- أمـرا آخر يمكن استثماره في هذا المجال، وهو طبيعة الأنشطة الداعمة للعمل البحثي، وأهميتها فيقول (ص ٨) :"تكشف سيرة فان دايك الأكاديمية أيضـا عـن إدراك أهمية الأنشطة الداعمة للعمل الأكاديمي، مثل : تأسيس دوريات أكاديمية، وفرق بحثية، وروابط وتجمعات وجمعيات أكاديمية، وربما كان هذا السـعي الحمـيم لمؤسسة العلم يعكس إدراكا عميقا لتغير قواعد تطوير المعرفة".

وهذا الاستثمار من عماد عبد اللطيف للسيرة الذاتيـة الأكاديميـة ، ربمـا يمنحنا مثالا في مفتتح هذا المطلب على ما نرجوه وننشده من فحص نصـوص هذا الجنس الأدبي في مجال إنتاج البحوث العلمية.

وفيما يلي محاولة لرصد ما يمكن استثماره من وظائف تعين على تطـوير مناهج البحث العلمي:

[٣-١] وظيفة تعيين المجال:

تكشف مجموعة السير الذاتية الأكاديمية أمرا مهما، تتفق جميعها عليه، وهو أن الارتباط العاطفي والعقلي هو مفتاح تعيين المجال العلمي الذي يتخاره الباحث، وينتدب نفسه للعمل فيه، ومن أجله يقول منير الغضـبان(ص٤٩) :"لـم يكـن تفكيري علميا إطلاقا (يقصد محبا للعلوم).. بينما كنت ألفت النظر فـي المـواد الأدبية، وأبدع فيها، وأدرك العلاقات بين الأفكار...ومع هـذا وهكـذا عرفـت دربي، وحددت مسيرتي" إن هذا الاعتراف هو أولى الخطوات التي ينبغي على الباحث أن يتنبه إليها حتى يحسن اختيار المجال العلمي الذي يمكن أن يستوعب قدراته، ويفجر طاقاته.

وقد يكون الارتباط الوجداني والعقلي موزعا على حقلين معرفيين معا، لا يمكن التنازل عن أحدهما لصالح الآخر، مما قد ينشأ عنه نوع بحوث بينية جديدة تخدم الحقلين معا يحكي مصطفى سويف أنه كان متعلق الوجدان بـالأدب، ومـرتبط العقل بعلم النفس، مما دفعه أن يتجه في دراسة الماجستير إلى موضوعه الفريد: الأسس النفسية في الإبداع الفني: في الشعر خاصة ، يقـول (ص٥٦) :" وفـي إطار من التوتر النفسي بالغ الشدة.. استقر قراري بعد حوارات نفسية مضـنية على أن أضحى بإرهاصات الكتابة الأدبية وأكرس مسـتقبل العمـر للاشـتغال بالفكر العلمي، متمركزا في العلوم النفسية" ويقول (ص٥٨):" أسست خطواتي بما أشاعته في نفسي من ثقة في الحاضر واطمئنان للمسـتقبل، كانـت أولـي خطواتي في هذه المرحلة هى بدء العمل في البحث الذي اخترته لأنال به درجة الماجستير: الأسس النفسية في الإبداع الفني في الشعر خاصـة" وهـذا الـنص كاشف عن أن الانحياز للرغبة التي تتولد من تعانق محل القلب والعقـل معـا، عادة ما ينتج اختيارا صائبا في تعيين المجال البحثي.

وقد كشف هذا الارتباط أو التعلق عن تغييرات جذرية في حياة بعض العلماء المعاصرين، كذلك الذي حدث مع المؤرخ العظيم عبد الله عنان، الذي هجر المحاماة والوظيفة الحكومية، وأعاد بناء نفسه، وتكوينه من جديد، ليلائم الدراسة التاريخية ، ولا سيما تاريخ الأندلس ، يقول (ص١٣٧) :" وغادرت الوظيفة مغتبطا سعيدا ، باسترداد حريتي والتفرغ لبحوثي التاريخية(ديسمبر ١٩٥٣م) وكانت في الواقع خطوة حاسمة مباركة ، كان لها أكبر الأثر في إنتاجي التاريخي الذي كنت أخطط له منذ أعوام طويلة سابقة ، وكانت تعوقني الوظيفة عن تنفيذه"

وقد اعترف كثيرون من أصحاب هذه السير أن طرفا من نجاحاتهم التي أحرزوها مرده إلى أنهم واصلوا بحوثهم العلمية في ميادين رغبوا فيها، وكانت كلمة" الرغبة" مفتاح نجاح الكثيرين فيما أنجزوه من بحوث في مجالات اختصاصهم وقد كان لبعضهم تعلق بأكثر من مجال في الوقت الواحد، خدمها جميعا بدرجات متفاوتة، لكن كان الدافع هو الإعجاب والتعلق العقلي، يقول إحسان عباس(ص٢١٧) مفسرا انشغاله بالبحوث حول ابن حزم الأندلسي :" وملكت إعجابي شخصية الرجل"!

[٣-٢] وظيفة تعيين نقطة البحث الضيقة:

يظهر من جديد أن السير الذاتية الأكاديمية مفيدة في تقديم زاد جيد لعنصر مهم في ميدان مناهج البحث، يتعلق بتعيين نقطة البحث الضيقة، وكيفية تحصيلها، والوقوع عليها، وهو عنصر شديد الارتباط بالعنصر السابق المتعلق بتعيين المجال.

إن الخطوة التالية لتعيين المجال العلمي للباحث تتجلى في النقاط الضيقة التي يرى أنها غير مغطاة، ولامعالجة بحثيا.

وقراءة السير الذاتية الأكاديمية، تكشف عن مسارات تتحكم في تعيين النقاط البحثية التي تفرض نفسها على هذا الباحث أو ذاك، وهذه المسارات يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا : مسار النقص المستولي على مناطق معينة من مجالات التخصص :

وهذا المسار يستشعره الباحث من كثرة اطلاعه على بحوث المجال الذي تخصص فيه، وهى المراجعة التي تهيىء له الوعي بمناطق النقص المحتاجة إلى التغطية والمعالجة.

إن شعور الباحث بمشكلات اختصاصه العلمي، والميادين الفارغة فيه هى ما يدفعه أساسا إلى التوجه لخدمتها، ومعالجتها.

وعلى قدر الوعي بهذا النقص، وحدوده وأبعاده، يتميز هذا الباحث عن غيره، على أن سير هؤلاء الأعلام العلماء وغيرهم، تكشف عن أن ميادين البحث العلمي في حاجة دائمة إلى مواصلة الفحص، ومراجعة الطرح، وأنه لا يوجد علم استوى، فضلا عن أن يكون قد احترق. إن المناطق غير المأهولة في جميع الاختصاصات، ولاسيما المجالات اللغوية والإنسانية ما تزال كثيرة جدا.

ثانيا : مسار الاستجابة للمهمات العلمية المختلفة

وهذا المسار يتولد الشعور به لدى الباحث، من خلال ما يدعى إليه من مهمات علمية، لأغراض كثيرة، ومتنوعة من مثل : الاستكتاب في قضية بعينها في إطار اختصاصه لخدمة غرض بعينه، أو التأسيس لمؤسسة علمية بعينها، يلزم عند الاستجابة لتأسيسها الاضطلاع بنمط معين من البحوث، وتقديم الأوراق البحثية المتخصصة، أو إطلاق دورية محكمة لأغراض بحثية وعلمية خاصة، مما يلزم معه التخطيط والكتابة معا.

وفي سير هؤلاء العلماء نماذج كثيرة ، تكشف عن أن الاستجابة للوفاء بمتطلبات هذا المسار صنع تراكما في منجزهم العلمي، ووسعه وعمقه.

ثالثا: مسار تصحيح أساطير الاختصاص:

ولعل هذا المسار- بتجلياته المختلفة- واحد من أهم ما ينجزه الباحثون بعد فترة من معايشة البحث، ومعاناته؛ ذلك أن الانشغال الدائم بالبحث، واتساع دوائـــره، وتشعب مسالكه، وتعقد ارتباطاته، ينتج مع تراكم الخبرات والتجارب تصحيحات كثيرة لعدد كبير من الأساطير التي تكررت من دون فحص على مر الزمان.

إن هذه السير الأكاديمية تبعث على الاطمئنان، أن واحدا من أهـــم مـــا ينبغـــي الانشغال به في ميادين البحث العلمي في المجالات المعرفية المتنوعة، كامن في ضرورة فحص الأحكام السابقة، ومعاودة تأملها، وتصحيح المتوهم منها.

لقد بات مسار تصحيح أساطير كل مجال واجبا يلزم العناية به، وتوجيه نظـــر الباحثين الجدد إلى معاناته، وهو الأمر الذي من شأنه أن يوسع دائرة البحث في كل المجالات على ضوء حاجة ما أنجزته الأجيال السابقة للمراجعة والفحص.

وهذه المسارات الثلاثة أنتجت التوجه إلى عدد من نقاط البحث الضيقة، تمثـــل برنامجا صالحا في هذا السياق، يمكن ان يتجلى فيما يلي:

أ-بحوث جديدة تعالج قضايا ومسائل لم يسبق معالجتها من قبـــل فـــي دائـــرة الاختصاص العلمي، أو في دائرة فرع من فروعه،(البحوث الجديدة المبتكرة)

ب- بحوث تعالج قضايا ومسائل سبق معالجتها، وجد مـــا يســـتدعي معـــاودة فحصها، وتحليلها، بسبب مما ظهر من مادة علمية، ونصوص لم تكن معلومـــة من قبل.

ج-بحوث تتناول عددا من مسائل الاختصاص، تكشف أدلة جديدة، تثبت خطأها ، وانتماءها للأساطير، وبعدها عن حقائق العلم، سواء تعلقت بأفكار، أو كتـــب، أو أعلام... إلخ

د-بحوث تستكمل تاريخ بعض الظواهر في العلم، وتكشف عن بعض مراحـــل تاريخية كانت مجهولة.

هـــ- بحوث تعاود تحليل بعض الظواهر، وتفسيرها تفسيرا جديدا فـــي ضـــوء معارف جديدة.

و- بحوث تدقق في التصنيف، وتراجع التقسيمات القائمة، وتسقطها، وتخطط لتصنيفها من جديد وفق معطيات من مناهج في مراحل تاريخية بعينها، وجاء هذا التفسير ناقصا، أو شائها، بسبب الاستجابة لمناخات كانت مهيمنة، وفرضها المؤمنون بها، بسبب من سطوتهم، أو سطوة شهرتهم.

ط-بحوث تقوم على الاستدراك والتكملات للمنجز في مسألة ما، أو لمنجز مؤلف من المؤلفين، أو لمنجز تراث يتعلق بقضية بعينها.

ي- بحوث إعادة تقييم المنجز التراثي في فروع العلم المختلفة، على مستوى الحقائق ، والموضوعات، والكتب، ومنجز الأعلام.

ك- الحضور الوطني كان له تأثير في تعيين نقاط البحث الضيقة، وهو مفهوم ناضج لخدمة المجتمع.

وفي سير هؤلاء العلماء الأكاديمية أمثلة ظاهرة على هذا الذي قررناه من هذه المسارات وتجلياتها المختلفة، يقول إبراهيم مدكور (ص٩٢) متحدثا عن العناية المتقدمة في الجامعة المصرية بالبحث العلمي، وأصوله:"وقد استحدثت كلية الآداب نهجا في البحث ذلك أنها تعول على أساتذة متخصصين بعينهم أن يعرفوا الحقيقة العلمية على وجهها بعدبحث شامل وتمحيص دقيق".

وهذا يعني أن التدريب على اختيار نقاط للبحث ينبغي أن يكون مشغلة الدراسات قبل العليا، ويزداد التدريب عليها في السنوات التمهيدية للدراسات العليا.

ويقول إحسان عباس عن ظروف ترجمته لكتاب الشعر، لأرسطو طاليس(ص ١٣٠):" ولا أزال أذكر تدريس الأستاذ عبد الرحمن بشناق كتاب الشعر، لأرسطو طاليس وكيف حفزني تدريسه إلى ترجمة هذا الكتاب عن الإنجليزية إلى العربية"لقد كانت الترجمة إذن عملا لازما يكمل عملية الدرس، ويطورها، ويعمقها. صحيح أن الترجمة في هذا السياق عمل تأسيسي تمهيدي معا، لكنه كاشف عن واحد من تجليات اختيار نقاط ضيقة للبحث العلمي في الاختصاص العلمي لباحث من الباحثين!

ويحكي رءوف عباس كيف أن ظرفا اجتماعيا ألهمه التوجه إلى اختيار موضوع بحثه لدرجة الماجستير، يقول (ص١١١) : "وحسمت التجربة التي عاشها بين عمال كفر الزيات اختياره، فقد لاحظ أن أولئك العمال الذين نجحوا في إسقاط اللجنة النقابية، وراءهم جدة نضالية لم تأت من فراغ، وراح يبحث عن كتاب في تاريخ الحركة النقابية فلم يجد.. فعقد العزم على دراسة الحركة العمالية منذ نشأتها".

إن المعايشة الشخصية ألهمت صاحبها بحثا جديدا في مجاله، وتحققت بفضل استثماره الظرف الشخصي مجموعة معايير للموضوع:

أولا- جدة الموضوع وأصالته، وانطلاقه من مشكل حقيقي يحتاج إلى الفحص.

ثانيا- جدارة الموضوع بالدراسة؛ لأنه يسد فراغا حقيقيا في إطار الاختصاص.

ثالثا- حيوية الموضوع ، والحاجة إليه في تفسير ما يرتبط به مجتمعنا.

ومسألة التفاعل بين مستجدات الأحداث والبحث العلمي، مسألة تبدو بارزة في سير هؤلاء الأعلام المعاصرين وغيرهم، وتبدو دافعة أيضا لمعالجة نقاط بحثية معينة؛ يقول سمير أمين(ص١٩٠) : "كنت قد اقترحت إعادة فتح النقاش حول الانتقال إلى ما بعد الرأسمالية، والعودة في تقييم التاريخ تقييما متحررا" وهذا النمط من المقترحات لا يكون إلا بعد خبرات وتجارب بحثية ممتدة، وهو ما يظهر معه أهمية التركيز في المجالات العلمية المختلفة على بحوث المراجعات، والنقد للتغييرات التي سبق طرحها، والتباحث حولها في مراحل زمنية سابقة. وهو أمر صحيح لازم في كل الاختصاصات العلمية.

ومن النصائح المهمة في هذه القضية(قضية تعيين نقطة البحث)، عدم الاستجابة لما رسمه بعض أصحاب هذه السير الأكاديمية باسم" الموضة" يقول عبد الرحمن بدوي (٦٣/١) :"وكان على أن أختار موضوع رسالتي للحصول على الماجستير فأخذت الموضوع التالي : مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية ـــ فلما عرضت عليه (يقصد أستاذه لالاند) هذا الموضوع نصحني قائلا: لا تثق أبدا بالبدع (الموضة) السائدة.. وكانت هذه "الموضة" هى الوجودية"!

وهو ما يعني أن البحث ناتج تفكير، وخاضع لمعايير منضبطة.

وربما يكون من المفيد أن يطيل الباحث تأمل موقعه مما يتعلق به في مجال اختصاصه، وهذا التأمل ربما قاده إلى ضبط حدود حركته البحثية، واكتشاف في أبعاده مشروع علمي يستفرغ وسعه، ويلهم طاقته؛ يقول عبد الرحمن بدوي(١/١٨٠) : إن ثمة اتجاهين استغرقا جهوده في البحث العلمي في إطار اختصاصه في الفلسفة وهما:

أ-الاتجاه الفيلولوجي المتأصل في عقله، وهو ما حمله على الاهتمام بنشر كل التراث اليوناني الفلسفي المترجم إلى العربية.

ب-اتجاه تقديم الفكر الأوروبي، مع عناية خاصة بالفلسفة الوجودية.

وما زلت أذكر مخطط أستاذي الراحل العلامة رمضان عبد التواب ، الذي حكي لي أنه عاش حياته العلمية الممتدة يدور في فلك مسارات ثلاثة هى:

أ-مسار تحقيق النصوص التراثية وبخاصة اللغوية، ودعمها بالتنظير، ونقد التحقيقات التي تصدر عن غيره في هذا المجال المختص.

ب-مسار إعادة فحص التفسيرات السابقة للظواهر اللغوية، على ضوء ما تكشف من النصوص اللغوية التراثية التي نشرت محققة، وتصحيح كثير من هذه التفسيرات السابقة ، ولا سيما بعد التنبه إلى قيمة تحكيم المنهج المقارن بالساميات.

ج-مسار الترجمة عن اللغة الألمانية، لما يتعلق بخدمة المسارين السابقين، أي ترجمة ما يخدم دراسات التحقيق مما يعرف بالمصادر العامة، ومسار ترجمة ما يخدم دراسات اللسانيات المقارنة بدرجة واضحة.

وفي هذا السياق يظهر لنا منجزه موزعا كما يلي:

أولا- منجزه في تحقيق النصوص اللغوية؛ الغريب المصنف لأبي عبيد، وعدد من تراث المذكر والمؤنث، وتراث الفرق، والأمثال.. إلخ.

ثانيا-منجزه في ترجمة تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، والأمثال لزلهايم ، واللغات السامية لنولدكه ، وبروكلمان ، والعربية ليوهان فك.

استغرقه هذا المشروع بأجنحته الثلاثة على مستوى إنتاج البحوث وتخريج الباحثين معا.

ويرتبط بعنصر تعيين نقاط البحث الضيقة مجموعة من القيم البحثية تتعلق بما يلي:

أ-اختيار الفروض.

ب-الصبر على الفروض.

ج-الميل إلى النزعة التاريخية للظاهرة.

[٣ -٣] وظيفة بيان مظان جمع المادة العلمية:

تتضمن قضية جمع المادة العلمية واحدة من أهم الإجراءات اللازمة في إنحاز البحوث، وعلى ضوء حواكمها يمكن توقع النتائج.

إن الجمع المستوعب للمادة شرط أساسي لا يمكن التنازل عنه، وهذا الاستيعاب والاستقصاء في جمع المادة المرهون بحسن تعيين مظان هذا الجمع، وتعيين مصادر المادة ، قبل إجراءات فحص المادة المجموعة، وتقييمها، وإخضاعها لمنطق الاستبقاء والاستبعاد منها.

وقد كشفت هذه السير الأكاديمية عن نوعين من هذه المظان هما:

أولا- سؤال الأساتذة المختصين المشهود لهم بالخبرة البحثية، والتقدم في مجال اختصاصهم.

ثانيا- سؤال المكتبات الفنية العريقة.

ولم يظهر في هذه السير الأكاديمية نوع، صار لازما بعد في إجراءات جمع المادة العلمية اللازمة لإنتاج البحوث، وهو : سؤال محركات البحث على شبكة المعلومات.

والحديث عن هذه المقالة مستفيض في سير هؤلاء العلماء الكبار، ويسعد بما كانت عليه مكتبات مصر العامة وغير العامة من ثراء، كما يشهد حديثهم عن

نوع وعي مبهر بقيمة توافر الكتب المتنوعة في المجالات العلمية كافة، بالإضافة إلى إسهام الأساتذة الذين أشرفوا عليهم في مفتتح نشاطهم البحثي.

في هذا السياق- مثلا- يحكي المؤرخ عبد الله عنان، كيف جمع مادة بحوثه الفريدة في تاريخ الأندلسي التي توزعت على محورين ، هما:

أ-محور الرصد الطبوغرافي الذي حصله من مشاهداته للمواقع التاريخية ،والآثار ، بقايا الحصون والقلاع.

ب- محور جمع المخطوطات والدراسات من المكتبات الإسبانية الكبرى.

يقول(ص١٤٠):"إني أعتقد أن هذه الفترة الطويلة من دراساتي التاريخية، أو بعبارة أخرى دراساتي الأندلسية التي كان مسرحها بالأخص في إسبانيا والمغرب- هى ألمع ما في حياتي العلمية. وقد بدأت هذه الفترة بصدور الطبعة الأولى من كتابي: دولة الإسلام في الأندلس في سنة ١٩٤٣م وقد كانت محاولة متواضعة ، ولم أكن حين صدورها قد وفقت إلى دراسة أية من المصادر الأندلسية المخطوطة التي ظفرت بالكثير منها فيما بعد"

إن هذا الاعتراف يحمل في طياته أمورا خطيرة لما نحن بصدده، يتمثل فيما يلي:

أولا- عدم العناية بجمع المادة العلمية الكاملة للبحث مشغلة الدراسة مؤذن بضعفها، وضآلة نتائجها إن تمت أصلا.

ثانيا- جمع المادة العلمية، وجمع مصادرها، ينبغي أن يخضع للدراسة، وتقييم المصادر، وفرز المادة المجموعة.

ثالثا- ضرورة التوسع في جمع المادة العلمية، وعدم استبعاد شيء منها قبل دراسته.

ثم يقول عنان بعد ذلك(ص١٤٢-١٤٣)إنه لم يكمل دراساته الأندلسية ، ولم يعمقها إلا بعد أن توسع في جمع المصادر الأصلية التي تمثلت في مصدرين أساسيين هما:

أولا- الدراسة الطبوغرافية والتاريخية المعاينة لميادين المعارك والوقائع الحربية، وأطلال الحصون الإسلامية القديمة، "وقد كان لهذا التجوال الشامل في شبه الجزيرة الإسبانية ، ولهذه الدراسات التاريخية والجغرافية العميقة للمواقع والأطلال والآثار، أكبر الأثر في تكييف دراساتي التاريخية ، وفي إلقاء الضوء على كثير من نواحيها الغامضة"

ثانيا- المصادر المكتوبة من المخطوطات والمطبوعات الخاصة بمجال بحوث التاريخ الأندلسي، يقول :" ففي مدريد المكتبة الوطنية الكبرى، وهى بمحتوياتها المخطوطة والمطبوعة، تعتبر من أعظم دور الكتب في أوربا.. وعلى مقربة من مدريد توجد بقصر الإسكوريال الملكي مكتبة شهيرة... وقد كانت تربطني بهم دائما (يقصد بآباء المكتبة) روابط مودة صادقة، ولا أذكر أنهم أهملوا قط في تحقيق أية رغبة من رغباتي خلال الأوقات العديدة"

إن وعي الباحث بمظان مصادره، ومادته العلمية ، مسألة حاسمة في إنجاز بحوث تخصصية ، ومعرفة إمكانات المكتبات ، ومقتنياتها ، وتوطيد العلاقات بمن يديرونها مسألة مهمة جدا في هذا المجال.

إن العنصر الخاص بجمع المادة العلمية اللازمة لإنجاز بحث من بحوث الاختصاص العلمي، أيا كان نوعه أو درجته ، معناه يتعين فيما يلي:

أولا- تعيين المصادر التي اعتنت بالنقطة البحثية مشغلة الدرس.

ثانيا- دراسة هذه المصادر، وتقييمها وبيان تراتبها ، وفحص علاقات بعضها ببعض، تأثيرا وتأثرا.

ثالثا- دراسة مناهج هذه المصادر، ومذاهب مؤلفيها ، ومقاصدهم ، وأجهزتهم الاصطلاحية فيها.

رابعا- تعليل أسباب ما استبعد منها تعليلا موضوعيا تقبله طبيعة المجال الذي تخدمه هذه المصادر.

وفي هذه السير الذاتية الأكاديمية عشرات الحكايات حول هذه المقالات الأربعة الخاصة بمبدأ جمع المادة، وتعيين مصادرها ، وتقييمها ، وفحصها.

[٣ -٤] وظيفة تصميم البحث، وتصنيف المادة العلمية:

يمثل تصميم البحث، وتصنيف المادة العلمية المجموعة ركنا أساسيا في إنجاز البحوث العلمية ، وهو ما يعني إخضاع هذه المادة إلى ما يلي:

أولا- التنظيم الذي يدخل في الاعتبار التدرج من الظواهر الجزئية إلى ما بعدها، وفقا لمجموعة من المعايير المنضبطة التي ترعى التمهيدات، وتحرير المفاهيم، إلى ما بعد ذلك من مسائل القضية أو الظاهرة موضوع الدرس.

ثانيا- التصنيف الذي يراعي ملاحظة المتشابه والمتقارب من أنواع المادة، ومعالجتها في حيز واحد.

ثالثا- قراءة المادة الخاصة بكل حيز، بمعنى إعادة بناء هذه المادة، وهو ما يتم بالتحليل، والمناقشة، والترجيح بين الآراء عند التعارض، واستصحاب الأدلة، وترتيب المواقف العملية من الظاهرة الواحدة.

ومسألة تصميم البحث، وإن جاءت في أعمال التسجيل لدرجات الماجستير والدكتوراه في الأكاديميات قبل جمع المادة العلمية ، فهى عملية غير تامة، ولذلك فإن كثيرا من هذه التصاميم، والخطط تظل مجرد مقترحات، غالبا ما تخضع للتغيير بعد انتهاء عملية جمع المادة العلمية ، وتعيين المصادر ، وتقييمها.

وقضية التصميم والتصنيف محكومة بأمرين ظاهرين ، هما:

أولا- طبيعة الغرض العلمي الذي وجه التفكير في مسألة البحث في الأساس.

ثانيا- طبيعة المادة العلمية المجموعة، وطبيعة مصادرها، وتوزيعها الزمني ، والمنهجي معا.

قد ظهر من مراجعة هذه السير الأكاديمية ، وفحصها أن ثمة مبادئ عامة حكمت تصميم البحوث التي نهضوا بها، وهى المبادئ التالية:

أولا- البدء بتحرير مفهوم الظاهرة موضوع الدراسة أو البحث، وفي هذا السياق تأتي أهمية معجمات المصطلحات العلمية، التي يغفل عنها كثير من الدارسين المعاصرين من الأجيال المتأخرة.

ثانيا- تحديد النطاقين الزماني والمكاني للظاهرة موضوع البحث، إما بفتحهما ودراسة الظاهرة في تطوراتها في الزمان والمكان، أو بتحديها بفترة زمانية أو مكانية.

ثالثا- تعيين المنهج الملائم للبحث، تبعا لموضوعه ، ونطاقيه الزماني أو المكاني، وصفا تزامنيا، أو تاريخيا تعاقبيا، أو مقارنا، أو مستعملا لأكثر من منهج تبعا لطبيعة الظاهرة، والغرض من دراستها.

رابعا- توزيع المتفق من أمثلة الظاهرة إلى فصول أو أبواب.

خامسا- الفصل بين الفيلولوجي، الذي يهتم بدراسة أنظمة التأليف ومصادره ، وبين الدراسة الموضوعية الفنية التي تعنى بطبيعة الظاهرة ؛ وصفا وتفسيرا وتتبعا.

سادسا- الاستعانة بمجموعة من الإجراءات والأدوات من مثل:

أ-التحليل.

ب-التعليل.

ج-التدليل.

د-الإحصاء.

هـ- الجدولة.

سابعا- العناية باستخراج النتائج ، وتفسير الظواهر .

ولعل أكثر من عني بعرض معاناته في تصميم بحوثه من أصحاب السير الذاتية الأكاديمية المعاصرين، هما : الدكتور عبد الرحمن بدوي، ولاسيما عندما تحدث عن رسالته للماجستير وأطروحته للدكتوراه اللتين انشغل فيهما بالفلسفة الوجودية من خلال بحث الموت، والزمان ، والدكتور عبد الوهاب المسيري ، وهو يحكي طبيعة عمله في موسوعة الصهيونية، التي ارتكزت في تصميمها على مبدئين مهمين جدا هما:

أولا- مبدأ التفكيك.

ثانيا- مبدأ التأسيس.

وهما القاعدتان اللتان أسهمتا في تطوير عمله في هذه الموسوعة الجبارة ، يقول المسيري (ص٤١٣-٤١٤):" إن المتميز من المداخل التي وصلت إلى كان ينحو منحى تفكيكا، يظهر نقط الضعف في النموذج التفسيري المهيمن دون أن يطرح أي بديل ، ومع هذا لم يكن إدراكي لهذه النقطة متبلورا تماما... ولكنني بدأت أدرك أن التفكيك غير التأسيس، وأن ما أقوم به هو تفكيك وحسب، ومما لا شك فيه أن التفكيك أمر حتمي وضروري ، فهو يكشف المفاهيم الكامنة ويزيل الغشاوات ، ولكنه يترك كثيرا من جوانب الظاهرة دون تفسير ؛ فالتفكيك عملية هدم جذرية... أما التأسيس فهو عملية إبداعية تركيبية، تتجاوز التفكيك ؛ فهي تتطلب نحت نماذج مختلفة والربط بينها".

وتبقى مسألة تصميم البحوث العلمية مرهونة باستيفاء صاحبها للمتوقع من مسائلها ، واستصحابها العدد الوفير من الأسئلة عند التصميم والمعالجة.

وفي الدراسات اللسانية المعاصرة تبرز مجموعة من الأسماء التي تحتاج إلى فحص منجزها في الدراس اللساني المعاصر، من جهة ما تميزوا به عند تصميم بحوثهم ومعالجتها ؛ نذكر منهم على سبيل المثال.

أولا- من مصر:

د. إبراهيم أنيس.

د. تمام حسان.

د. رمضان عبد التواب.

د. سعد مصلوح.

د. أحمد مختار عمر.

د.محمود سعران.

ثانيا- من المغرب العربي:

أ-د. عبد السلام المسدى(تونس).

ب-د. عبد القادر المهيري(تونس).

ج-د. إبراهيم بن مراد(تونس)

د-د. عبد القادر الفاسي الفهرسي (المغرب)

هـ- د. عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر)

ثالثا- من الشام:

أ-أحمد راتب النفاخ (سوريا)

ب-د.مازن المبارك(سوريا)

ج-د. ميشال زكريا(لبنان)

رابعا- من العراق

أ-د. مهدي المخزومي

ب-د. حاتم الضامن.

خامسا- من السعودية:

أ-د. حمزة بن قبلان المزيني.

سادسا- من اليمن:

أ-د. عباس السوسوة.

وهذه أمثلة لا تستهدف الحصر ، ولا يمكنها ذلك، لكنها دالة على بعض ما نحب أن نشير إليه في هذا المقام ، فقد اعتنى هؤلاء- على تفاوت ما بينهم- بتصميم بحوث والصبر عليها ، وإتقان تنظيمها، وتلبية المتوقع من مسائلها عند المعالجة.

[٤] مقاصد العناية بمشكل مناهج البحث في السير الذاتية الأكاديمية المعاصرة

يتضح من قراءة السير الذاتية الأكاديمية للعلماء المعاصرين مجموعة من المقاصد والغايات التي استهدفوا خدمتها وتحقيقها وتفعيلها في المجتمع العلمي الذي خاطبوه بسيرهم تعيينا.

وقد تنوعت طرق تعبيرهم عن هذه الغايات إن بطريقة مباشرة عن أهدافهم، وإن بطريق غير مباشرة تجلت من وراء سرده لما نهضو به من بحوث وتعليمهم للمسرات البحثية التي سلكوها.

وفيما يلي أظهر ما تناولوه من مقاصد كانت تحركهم نحو ما أنجزوه من بحوث وأنتجوه من علم.

[٤ -١] ترقية الأمة:

لقد ألح عدد من أصحاب هذه السيرة على أن ما دفعه إلى ما سار فيه من مسارات بحثية كان وراءه إرادة تحقيق الترقية العقلية والحضارية للأمة، وتحقيق استعادتها لموقع حضاري شغلته في مراحل تاريخية ماضية، كانت فيه منتجة للعلم والمعرفة ، ومصدرة للنظريات العلمية وتطبيقاتها المختلفة في فروع المتنوعة.

وقد ظهر هذا المقصد في تعليل عدد من أصحاب السير الأكاديمية لما توجهوا إليه من بحوث في مجال اختصاصتهم المختلفة.

ولعل الدكتور عبد الرحمن بدوي في سيرته، كان أظهر الأصوات التي نشرت أسباب اختياره للمسارات البحثية التي التزمها في حياته، مرجعا الأمر إلى هذا المقصد المهم، يقول(١/١٥١):" إن اتجاهه إلى تقديم خلاصة الفكر الأوروبي كان من أجل إحداث ثورة روحية في الفكر العربي؛ إذ وجد أن السبيل إلى ذلك هو الاطلاع على الفكر الأوربي، الذي استطاع أن يحقق تقدما عظيما في الفكر الإنساني، فيما تخلف الفكر العربي الإسلامي عن متابعة الفكر الإنساني منذ

القرن الثاني عشر، وكما أن معرفة التراث اليوناني هى التي أوجدت الفكر الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)وما تلاه، فإني رأيت أن معرفة الفكر الأوربي الحديث المعاصر هى الكفيلة بإحداث نهضة في الفكر العربي والإسلامي" ربما تختلف مع التفصيلات الجزئية ، وتختلف مع القياس والمعلومات التي سيقت في هذا النص ، فإن المقصد الذي دعاه لانتهاج هذه السبيل واضح جدا، وماثل في إرادة تحقيق نهضة في فكر هذه الأمة العربية الإسلامية.

وهو مقصد نبيل- ولا شك – يمثل حضوره معيارا حاكما في وطنية البحث العلمي، ووطنية الباحثين بامتياز.

وممن ألح على هذا المقصد في سيرته الأكاديمية الدكتور مصطفى سويف، الذي نظر إلى القضية من باب اللياقة النفسية، أو ما يمكن تعريفها بتحقق مستوى معقول من الصحة النفسية، تضمن لصاحبها قدرا من التصالح مع النفس والمجتمع، قاصدا من وراء عنايته تلك تقدم المجتمع ونهوضه. وهو المقصد الواضح في سيرة منير الغضبان، الذي يقرر واحدة من الأفكار التي كان يحيا من أجلها ، تمثلت في قوله (ص١٠٠): " اعمل لوطنك، واخدمه بشرف وأمانة، فحب الوطن من الإيمان"! ويقول رءوف عباس (ص٣٣٥):" فقد حرصت هنا على التركيز على التجارب المفصلة بوطنه ومجتمعه" إنه يتحدث عن نفسه بصيغة ضمير الغائب، ثم يختم سيرته بما يعبر عن هذا المقصد ، فيقول :" وكم يتمنى صاحبنا أن يختم الأعمال العلمية التي خططها من أفكار في عمل شامل، يغطي تطور المجتمع المصري في العصر الحديث من مختلف الجوانب".

إن هذه النصوص المبثوثة في سير العلماء الأكاديمية، تنطق بمقصد واضح ممتد في عمق المجتمع العلمي العربي الإسلامي منذ زمن طويل، يتمثل إرادة ترقية الأمة وتحقيق نهضتها وتقدمها.

وهذا المقصد اتخذ أشكالا وتجليات متنوعة في الاختصاصات المختلفة الشرعية والعربية والحكمية.

ولعل أهم التجليات في ميدان اللسانيات أو الدراسات اللغوية، تمثل في خدمة المسارات البحثية التالية على الأقل في منجز جيل اللسانيين الرواد، وتلاميذهم:

أولا- تحقيق النصوص اللغوية في المستويات المختلفة تحقيقا علميا، وخدمته بالمكملات والكشافات التي تعظم من طاقة الإفادة منه.

ثالثا- دراسة الظاهرة اللغوية العربية في انتظامها، وجمعها، وعرضها في ضوء النظريات اللسانية الغربية؛ بهدف الكشف عما يكمن في بنيتها من قوانين وقواعد.

رابعا- نقد المنجز التراثي اللغوي، وإعادة تقييمه بروح غير متنكرة له في الغالب؛ بقصد بيان ما يصلح للبقاء، وبقصد بيان الجهد الجبار الذي قام به اللغويون العرب على مستويات متنوعة.

خامسا- ترجمة كثير من أصول المنجز اللغوي الغربي في اللسانيات المعاصرة ، ومحاولة تطبيق أفكارها على النصوص العربية.

[٤ -٢] تنمية الملكة البحثية للأجيال التالية:

لقد ظهر بوضوح أن واحدا من المقاصد التي دفعت أصحاب السير الأكاديمية إلى البوح بما قابلوه في رحلتهم العلمية، كامن في تحقيق تنمية الملكة البحثية لأبناء وطنهم من الباحثين الذين يأتون من بعدهم.

ومقصد تنمية الملكة البحثية للباحثين الجدد، يضرب بجذور عميقة في الاتصال بواحد من أسمى المقاصد في التصور الفكري الإسلامي، المتمثل في مقصد حفظ العقل ، وصيانته، وطلب ترقيته، ودعم محددات تنمية ملكاته.

إن متابعة هذه السير وفحصها من جهة ما لقيه أصحابها في رحلة انخراطهم في أعمالهم العلمية ، مثمر جدا في توريث عقول الباحثين في الأجيال المتعاقبة مجموعة من المحددات ، التي من شأنها تنمية الملكة البحثية لهؤء الباحثين الجدد.

لقد امتلأت هذه السير الأكاديمية بالمحددات التالية:

أولا- ضرورة التخطيط للمسيرة العلمية، وهو ممتد في سير كثير من هؤلاء الأعلام.

ثانيا- أهمية المكتبة في حياة الباحث، ودورها في تطوير بحوثه، وقيمة الارتباط بها.

ثالثا- كثرة الإجراءات البحثية ، وتنوعها ، والفروق التي بينها ، وما تسهم به في تعيين النتائج، وتقييمها.

رابعا- طرق التخلص من المعوقات الإدارية والمادية التي تؤثر سلبا على مسيرة البحث العلمي.

خامسا- إدراك أهمية المؤسسات العلمية الداعمة لتطوير البحث في مجال الاختصاص، من بيانات ومؤتمرات وندوات وجمعيات علمية... إلخ.

سادسا- إدراك أهمية النشر العلمي المحكم في تطوير البحوث، وتأثيرها في اكتساب ملكات بحثية على مستوى تصميم البحوث، ومعالجتها ، وتحريرها.

سابعا- الوعي بقيمة العلاقات الجيدة في المجتمع العلمي القائمة على التقدير والاحترام المتبادل بين الأطراف المؤثرة في إنتاج البحوث من الأساتذة الكبار، والإداريين في المؤسسات الأكاديمية والجمعيات البحثية، والدوريات، وأمناء المكتبات ، ومقدمي الخدمات المعلوماتية... إلخ.

ثامنا- أهمية الروابط العلمية بين باحثي التخصصات المتداخلة والمتقاربة ، واستثمارها في تطوير البحوث وتعميقها.

تاسعا- قيمة الكشف عن منازع المؤلفين وتوجهاتهم الفكرية في معالجاتهم لبحوثهم في المجالات المختلفة.

إن هذه المحددات بتأثيرها الكير في تنمية الملكة البحثية يمكن أن توفر وقتا وجهدا ضخما إذ تنبه لها الباحثون اللاحقون لأجيال الأساتذة الكبار الذين تركوا لنا زادا معرفيا في هذا الميدان، يمثل استلهامه واستثماره دافعا لتجاوز كثير من العقبات التس تسهم في تطوير بحوث التخصصات المختلفة.

وفي هذه السير الذاتية الأكاديمية حكايات مستفيضة حول كل هذه المحـــددات ، يسهم تمثلها واستصحابها في تنمية الملكة البحثية لكل من ينخرط مستقبلا فـــي الحياة البحثية.

وهى بمثابة مبادئ ، قواعد كلية يمكن أن تشكل عند الوعي بها دافعا لتطـــوير ملكات البحث لدى الباحثين الشباب بصورة مذهلة؛ لأنها مبادئ وقواعد صادرة عن مجموعات عائلة من الخبرات والتجارب الممتدة.

إن هذه السير الأكاديمية معرض متسع جدا من تجارب عقول ممتازة في ميدان إنتاج المعرفة، يعد تحصيلها تطويرا حقيقيا لمن يتأملها، ويحصلها، ويفيد منهـــا الباحثين.

[٤ -٣] تقويم الأفكار وتسديد الرأي في النظريات السابقة:

تمتلئ السير الذاتية الأكاديمية بكثير من النمائج الفكرية التـــي تنشـــغل بتقـــويم الأفكار السابقة في مجال اختصاص أصحاب هذه السير الأكاديمية.

وقضية العناية بنقد الأفكار الموروثة في الاختصاصات العلمية، ونقض مـــا لا يصح منها في نظر هؤلاء العلماء ، طريق مهمة جدا في تحقيق مقصد مركزي في الفكر المعاصر، فيما يتعلق بعمل العقل، وهو مقصد تقويم الأفكار وتســـديد النظر فيما سبق من آراء ونظريات.

إن واحدة من مشاغل البحث العلمي تكمن في تقويم منجز الســـابقين، وتســـديد النظر فيما سبق من نظريات، وهو الأمر الذي تجلت خدمته في أكثر من مسار بحثي، وأكثر من إجراء منهجي ، وأكثر من شكل ، يتقدمها جميعا بحوث النقد، وبحوث المراجعات.

وأصحاب السير الأكاديمية في متابعتهم لنقد الأفكار القديمة وتقويمها ، يتصلون بأسباب التاريخ العلمي في الحضارة العربية الإسلامية التي انتعشت فيها أشكال متنوعة من بحوث التقويم والنقد، رفعت عنوانات كثيرة، من مثل:

أ-كتب التنبيهات على الأغاليط، وتصحيح الأوهام والأخطاء.

ب-كتب الاستدراكات والتكملات والذيول والصلات.

ج-كتب الانتقادات والتعقبات والمحاكمات.

وهذه الأشكال لم تكن وقفا على مجال معرفي بعينه، ولكنها امتدت وطالت فروع العلم المختلفة في الحضارة العربية، وكان لعلوم الشريعة وعلوم اللسان النصيب الأوفر من تطبيقاتها.

وقد ظهرت خدمة هذا المقصد في صور متنوعة في هذه السير الأكاديمية، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا- نقد العلماء السابقين، وبيان ضعف أفكارهم الناتج من ضعف تكوينهم في مجالات اختصاصهم.

ثانيا- نقد نظريات، وبيان ما هو متهافت منها، بالتوجيه إلى أصولها الفكرية، ونقضها وبيان تناقضاتها ، والتدليل على ذلك.

ثالثا- نقد الكتب (الأدبيات) الشهيرة في المجالات المختلفة، وبيان فساد مناهجها ، وضآلة ما تحتويه من علم ، وأسباب عدم التنبيه إلى ضعفها ، ويتعلق بهذه المقالة مقارنات طبعات الكتاب الواحد، وتقييمها والحكم عليها!

رابعا- نقد المناهج والإجراءات من جهة ما وقع في تطبيقها من مشكلات ، وتجاوزات.

خامسا- بيان ما تأسس من بحوث السابقين على مادة علمية ناقصة، استكملها اللاحقون بما كشف لهم عنه من مصادر جديدة كانت في عداد المفقودة أو الضائعة.

سادسا- الكشف عن مشكلات المؤسسات الأكاديمية فيما يتعلق بالبحث العلمي، ومناهجه.

سابعا- دعم حلقات النقاش(السيمنار)، وتفعيلها بشكل إيجابي لتفاعل الآراء .

وفي هذه السير الأكاديمية أمثلة كثيرة تنضوي تحت هذه المقالات السبعة التي رصدتها الآن ، يقول رءوف عباس(ص٢٠٣) :" عندما عاد(أي نفسه) من الإعارة عام ١٩٧٨م، كانت حال قسم التاريخ بآداب القاهرة تدعو إلى الرثاء ... واضطر هؤلاء على أن يعينوا على عجل بعض من لم يكتمل تكوينهم العقلي

بعد... وهو لا يعرف المبادئ المنهجية للبحث العلمي" إن مثل هذا الكلام مهم جدا، لأنه يركز على نقطتين حاسمتين في تقويم الأفكار ، وتسديد النظر فيما ظهر من مراجعته من النظريات ، وهما:

أولا- قضية استكمال التكوين العلمي للباحث في مجال تخصصه، وتحصيل العلوم المساعدة لهذا الاختصاص أو غيره.

ثانيا- قضية المبادئ المنهجية للبحث العلمي ، وهى القضية التي تمكن الباحث في الحقيقة من تقويم ما وصل إلينا في العلوم المختلفة.

ويقول عبد الرحمن بدوي (١٢٥/١) :" إنني أردت أيضا أن اطلع الباحثين العرب على نماذج من الدراسات العلمية الدقيقة التي قام بها المستشرقون في هذا الميدان، حتى يأتوا بمنهجها فيما يتبادلون من موضوعات في التراث الإسلامي، كيما يطرحوا الكنايات الخطابية غير العلمية ولا المنهجية التي دأبوا عليها في هذا الباب"

إن مسألة نقل المنجز الاستشراقي في ميادين المعرفة العربية المختلفة، كان محكوما في منجز كثير من أصحاب السير الأكاديمية بهذا المقصد الذي نتحدث عنه، وهو إرادة تقويم الأفكار ، وتصميم مسار إنجاز البحث، وتخليصها من العيوب الموروثة ، وتركيزها في نفوس الباحثين بدعم أخلاقيات البحث العلمي.

[٤ -٤] تزكية نفوس الباحثين بدعم أخلاقيات البحث العلمي:

لقد فطنت كثير من الأكاديميات في الغرب والشرق معا، إلى ضرورة الانطلاق في إنتاج البحوث العلمية من مجموعة من المبادئ الأخلاقية الحاكمة، واستقر الأمر على ضرورة تحصين الباحثين، بما صار يسمي باسم أخلاقيات البحث، وهى المبادئ التي تتوزع على ثلاثة محاور مركزية، وهي:

أولا- ما يلزم الباحث أن يتجلى به من مجموع القيم النفسية والأخلاقية.

ثانيا- ما يلزم نحو التعامل مع مصادر المعرفة، وطرق الإفادة، والنقل منها، وتوثيق ذلك بما يحفظ حق من نقل عنه، واستفيد منه.

ثالثا- ما يلزم لمن يتعامل معه البحث من أفراد العينة ، وصيانة التعهدات التي اشترطها، ورعاية حقوقه.

وقد اهتم أصحاب السير الذاتية الأكاديمية بهذا المقصد ، ونوهوا بفضله ، وأهميته في ميدان البحث العلمي.

وثمة وجوه أخرى لأخلاقيات البحث العلمي، يمكن إجمالها في مبدأ المسئولية بأبعادها المختلفة، وهى مسئولية نحو الباحث نفسه ، إذ عليه أن يظفر في ميدان التكوين، والتحصيل، والاحتشاد ، ونحو مادة البحث، استقصاء ، وفحصا، ومراجعة ، وتقييما ، وتحقيقا، ونحو القارئ رعاية، وتوضيحا، وتيسيرا عليه.

ومن الحكايات التي تدل على هذا المقصد ما يرويه الدكتور أحمد هيكل(ص١٠٣)، الذي كلف من وزراة الثقافة المصرية بكتابة مقدمة لديوان الشعر المعاصر للدكتور إبراهيم ناجي مع زملاء له هم: صالح جودت ، ومحمد ناجي ، وأحمد رامي ولما ظهر الديوان جمع إليه مجموعة من قصائد الشعر الراحل الدكتور كمال نشأت ، وكان السبب- فيما يبدو- بعيدا عن دور أحمد هيكل ، لكنه سكت ولم يدافع عن نفسه ، وتحمل المسئولية مع أن دوره كان معينا يقول(ص١٠٤) : " لم أكن مستطيعا أن أدافع عن نفسي بذكر الحقائق التي تبرئ ساحتي ؛ لأن غلاف الديوان الكامل الذي طبع كان قد سجل عليه ما يفيد أن الديوان قد جمعه وحفظه وقد له هؤلاء الذين ورد اسمي معهم، دون أن ينصوا على ما عمله بالتحديد كل واحد منهم، وبهذا التعميم والشيوع وعدم التحديد أصبحت شريكا لكل أعضاء اللجنة فيما حدث من خطأ، وإن كان خطأ غير مقصود؛ ولذا تحملت الهجوم والاتهام ، ولم أحاول أن أرد محددا دوري دون غيره، لأن ذلك معناه أني أتنصل من المسئولية الأدبية، وألقي التبعة كلها على غيري ، وهذا في رأيي يمثل موقفا يتنافى مع المروءة"

وبعيدا عن تفاصيل الأزمة التي يمكن أن يكون للدكتور أحمد هيكل سهم منها؛ ذلك أن الناقد الدارس ربما يشعر بفروق ما بين الأشعار، وأن بعضها من ماء مغاير لماء بعضها الآخر ، وربما كان يعفيه استشعار نوع من الشكوك في هذه

القصائد التي أقحمت بسبب من خطأ الجمع؛ حيث إن التحقيق والنقد إذا أحاطهما الصبر والتلبث أوشكا أن يعلنا عما أقحم من شعر في شعر آخر-فإن الكلام عن المروءة المانعة من التنصل من المسئولية هو عين المقصود بما يسمى أخلاقيات البحث العلمي؛ ذلك أن الفريق البحثي - عند عدم التعيين للأدوار والأسهم- فريق واحد، أو كما يقول القانونيون شخصية اعتبارية واحدة!

ومن المدهش أن ترى المنجز البحثي سبيلا للاتصال بالهوية، هوية الإنسان العربي المسلم، وهذا الانتصار للهوية عن طريق البحث العلمي ، يمثل قمة المسئولية الأخلاقية التي تربط بين البحث وخدمة قضايا الإنسان وفي الصدر منها قضية الهوية التي تعرضت لأشد تهديد منذ الحرب الكبرى سنة ١٩١٨م، ثم مرة أخرى في السنة الكبرى سنة ١٩٥٢م على حد تعبير عبد الرحمن بدوي (٣٢٣/١)؛ إذ فشا التوجه اليساري بعنف في الأوساط المصرية بدعم من النظام الحاكم، وهو ما دعا نفرا من الباحثين الكبار إلى التصدي له بالتوجه نحو بحوث إحياء التراث العربي في المجالات المختلفة، يقول عبد الرحمن بدوي (٣٥٤/١)؛ مفسرا توجهه الكثيف نحو تحقيق عدد كبير من نصوص التراث العربي الإسلامي: "وبعض هذه الكتب قد قصدت منه إلى مقاومة المد اليساري الذي فرضه عبد الناصر ومن ورائه الاتحاد السوفيتي، وأتباعه في مصر" ، وهو ما يعني أن الباحث المنتمي يلزمه رعاية البعد الأخلاقي والعائد منه على صيانة هوية الأمة. وهذا مستوى رفيع من أخلاقيات البحث العلمي، وهو ملمح يصب في خدمة مقاصد أخرى مهمة جدا.

وتتجلى خدمة هذا المقصد في كتب السيرة الذاتية الأكاديمية في مستويات متعددة، يمكن أن نذكر منها:

أولا- العناية بالتوثيق، وبيان فضل المصادر السابقة.

ثانيا- تقدير الخدمات وذكرها منسوبة إلى المتفضلين بها من الأساتذة السابقين عليها وتأكيد أثرها في تقدم بحوث هؤلاء العلماء عندما كانوا باحثين.

ثالثا- بيان ما تتمتع به المصادر العلمية من قيم ومعلومات والحكم عليها، ومدى الإفادة منها.

رابعا- بيان النقد فيما أنجزه أصحاب هذه السير الأكاديمية من بحوثهم؛ إضاءة للقارئ وتنويرا له على طريق التعامل معها.

خامسا-الإشادة بمجهود السابقين ، من دون انتقاص لهم.

وفي هذه السير الأكاديمية مواقف كثيرة تخدم هذا المقصد الأخلاقي، يقول عبد الله عنان(ص١٥٠) متحدثا عن مجهود الحبر الماروني السوري ميخائيل الغزيري في فهرسه المخطوطات العربية بالإسكوربال بإسبانيا: " ولبث معجم الغزيري أكثر من قرن مرجعا فريدا للمجموعة العربية الإسبانية في الإسكوربال حتى قام المستشرق الفرنسي: هارتنج ديرنبور بدراسة جديدة لمحتويات هذه المجموعة... وبالرغم من أنه يبدي في مقدمته ريبة في قيمة الجهود التي بذلها سلفه، وإلى بيان طائفة من أخطائه، فإنه لم يرفع ذلك بدأ من اتباع طريقة التنظيم والتبويب والترقيم مع تغيير يسير" إن التقدير لمنجز السابقين أمر أخلاقي مهم جدا، يشيع أجواء إيجابية ، ويسمح بتقبل الانتقادات والاستدراكات؛ لأن المهم هو تجويد البحوث ، لا انتقاص الباحثين!

[٤ -٥] رفع الحرج ودفع المشقة:

إن واحد من أهم ما بثه التصور الإسلامي في الحياة، وصار سمة من سماته هو التيسير على الخلق ، وقد فشا هذا الخلق في مستويات الحياة في الحضارة العربية الإسلامية بما فيها مستوى العلم والمعرفة.

وقد برز في هذه السير الأكاديمية مجموعة من العلامات ، تعكس عناية أصحابها بالتيسير على عموم الباحثين الذين قدمت لهم هذه السير، وقد شاع فيها ما يلي:

أولا- التركيز على كيفية التغلب على المعوقات المادية والمعنوية التي اعترضت سبيلهم عند الانخراط في البحث العلمي.

ثانيا- إطالة النفس في الحديث عن مصادر جمع المادة ، وطرق الإفادة من المكتبات وفهارسها.

ثالثا- بيان طرق قراءة المادة العلمية؛ بقصد إعادة بنائها واستثمارها في إنجاز البحوث.

رابعا- التنبيه على مخاطر الاستجابة للبدع التي تظهر بشكل مفاجئ ، وتسيطر على المجتمع العلمي من دون فحص أو تأمل.

خامسا- التأكيد على قيم التخطيط والتنظيم في إنتاج البحوث، وإدارة الذات في سياق العمل البحثي.

سادسا- الإلحاح على شرح أهمية المنهجية في البحث العلمي، وما يجدي من المناهج مع البحث وعند اختلافها وتنوعها.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في حديث عبد الرحمن بدوي (١/١٥٠) في بداية انشغاله بالإنتاج العلمي، يقول : "لكني- في الوقت نفسه- وضعت خطة للإنتاج العلمي فيما استقبل من عمري، ورسمت هذه الخطة على أساس أن تسير في ثلاثة اتجاهات :

أولا- هو المؤلفات المبتكرة التي أعبر فيها عن مذهبي.

والثاني- هو عرض الفكر الأوروبي على القارئ العربي.

والثالث- هو الإسهام في دراسة (النصوص الإسلامية)

إن هذا المخطط الذي ذكره الدكتور عبد الرحمن بدوي ، يعكس ما يمكن أن يمثل خدمته في طريق تحقيق مقصد التيسير على الباحثين في المستقبل؛ ذلك أن النجاح في الحقل العلمي مرهون بدرجة واضحة بالتخطيط والتنظيم، وهذه الاتجاهات الثلاثة صالحة للسير على هديها في إنتاج البحوث اللسانية / اللغوية، ومراجعة منجز الرواد اللسانيين المعاصرين، ربما يكشف عن إنتهاجها، فقد عني هؤلاء الرواد في إنتاجهم للبحوث اللسانية بما يلي:

أولا- إنجاز بحوث جديدة مبتكرة، لم يكن للبحث اللساني العربي القديم اهتمام بها ، على الأقل من جهة تصميمها، وإنجازها.

ثانيا- ترجمة النصوص اللسانية الغربية المؤسسة ، وهو ما سمح لكتابات فرديناند دي سوسير، وتشومسكي، وجان كانتينو وغيرهم كثيرون، إذ رأي من ترجموهم أن الدرس العربي المعاصر في حاجة ماسة إلى الاطلاع على المنجز الغربي لتطوير بحوث دراسة الظواهر اللغوية في اللسان العربي.

ثالثا- إحياء نصوص التراث اللغوي، بالتحقيق والدراسة؛ لأنه يبقى أن التراث اللغوي العربي هو الأصل الذي تتأسس عليه النظرية اللغوية العربية؛ لاعتبارات كثيرة منها:

- المجهود الرائع الذي بذله علماء اللغة العرب.
- الحقائق الثابتة التي توصل إليها علماء العربية من طول فحصهم ، ودراستهم لنصوص اللغة.
- ارتباط إنتاج المنجز اللغوي العربي بالقرآن الكريم، وبسياق حضاري مائز، يعانق الهوية العربية الإسلامية.
- صدور هذا التراث اللغوي عن منهجيات منضبطة بشكل كبير جدا.

الخاتمة

في هذا الفصل حاولنا أن نقرأ السـير الذاتيـة الأكاديميـة فـي العربيـة المعاصرة، بماهى مصدرمن مصادر مناهج البحث، وهى محاولة تدعي نوعـا من الخبرة، وقد ظهر لنا مجموعة من النتائج هى:

أولا: إن السير الذاتية الأكاديمية تمثل- بحق- مصدرا من مصادر منـاهج البحث؛ لأن أصحابها قصدوا إلى البوح بما عانواه في حياتهم الفكريـة بشـكل أساسي.

ثانيا: لم يسبق لأحد ممن تكلموا عن مصادر مناهج البحث أن تطرق إليها، وهو الأمر الذي يفتح الباب أمام مواصلة التفتيش عن مصادر غير تقليدية تخدم مناهج البحث.

ثالثا: مثلت هذه السير الأكاديمية من جهة القيمة أهمية بالغة الخطر؛ مـن حيث هى مصادر للتراجم ، ومصادر لتطبيقات الإجراءات البحثية... إلخ.

رابعا: المنجز المعاصر من السير الذاتية الأكاديمية بدأ يتسع ، مما يمكـن معه تعظيم الإفادة منه في ميادين كثيرة.

خامسا: كشف هذا البحث عن عناية هذه السير الأكاديمية بعدد من وظائف المجالات التي يمكن استثمارها فيها بحثيا، من مثل:

- وظيفة تعيين المجال(اختيار المجال العلمي)
- وظيفة تعيين نقطة البحث الضيقة(اختيار موضوع البحث)
- وطيفة بيان مظان جمع المادة العلمية.
- وظيفة تعميم البحوث، وتصنيف المادةة العلمية.

سادسا: أظهر هذا البحث انطلاق هذه السير الأكاديمية، يدفعها مجموعة من الغايات والمقاصد يمكن تفعيلها واستلهامها لدى الباحثين في المستقبل؛ وقد اكتفى البحث بخمسة مقاصد ظاهرة ، هى:

- مقصد ترقية الأمة ، والنهوض بها.

- مقصد تنمية الملكة البحثية لأجيال الباحثين الجدد.
- مقصد تقويم الأفكار وتسديد النظر والرأي في النظريات السابقة.
- مقصدتزكية نفوس الباحثين بدعم أخلاقيات البحث العلمي.
- مقصد رفع الحرج ودفع المشقة للتيسير على الباحثين.

لقد استهدف هذا البحث محاولة التشديد في الكشف عن بعض المصادر غير التقليدية التي يمكن أن تمثل مصدرا، يخدم مناهج البحث بوجه عام. صحيح أن هذه المحاولة انشغلت بمبادئ عامة، وقواعد قيمة، تهم الباحث أيا ما كان ميدان اختصاصه المعرفي لكنها في كثير من الأحيان كانت معنية بإمكان الإفادة منها في مناهج البحث الجزئية أو المختصة بميدان معرفي بعينه.

ويبقى الباب واسعا لإضافة مصادر جديدة، يمكن استثمارها في دعم مناهج البحث العلمي، وتعميق قضاياها.

إن العلم هو الطريق نحو النهوض، ولاسيما عندما يكون هذا العلم مرتبطا بقيم الهوية، ومنهجيات مجربة، ومن أجل مقاصد نبيلة ، ومستهديا بمنجز أجيال من الآباء العلماء سبقوا على الطريق ، وتكرموا فأهـــدونا خلاصـــة تجـــربتهم الفكرية والبحثية لتكون منارة على الطريق.

المصادر والمراجع

- أثقل من رضوى، د. رضوى عاشور، دار الشروق، القاهرة ، ٢٠١٤م.
- الاستقراء والحدس في البحث العلمي ، للسير بيتر مدور، ترجمها الدكتور محمد شيا، ونشرتها الهيئة المصرية العامة ، بالقاهرة ، ٢٠١٠م عن النص الإنجليزي المنشور، ١٩٦٨م.
- التاريخ الذي أحمله على ظهري ، د. لويس عوض:(١) الجذور والبذور ، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
- ماء الحياة ، كتاب الهلال، ع٤٢٩، سبتمبر ١٩٨٦م
- التكوين ، دار الهلال، ع ٥٦٦، فبراير، ١٩٩٨م.
- حديث الزمان، د. أحمد زكي ، كتاب الهلال ، القاهرة ، ع ٦٠٣،مـــارس ٢٠٠١م.
- الدليل إلى منهج البحث العلمي، للدكتور أحمد السيد محمد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م.
- ذكريات باريس ، د. زكي مبارك، كتـــاب الهـــلال ، القـــاهرة ، ع ٦٢٠، أغسطس ٢٠٠٢م .
- الرحلة:أيام طالبة مصرية في أمريكا، د. رضوى عاشور ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٧م.
- رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، د.عبد الوهاب المسيري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاعرة ، ٢٠٠٠م.
- سنوات وذكريات، د. أحمد هيكل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
- سيرة حياتي، د. عبد الرحمن بدوي ، الدار العربية للأبحـــاث ، بيـــروت، ٢٠٠٠م
- سيرة ذاتية فكرية، د. سمير أمين، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣م.

- شعرية السيرة الذهنية ، الدكتور محمد الداهي ، رؤية للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٨م
- العيش على الحافة ، د. شكري محمد عياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م.
- غربة الراعي، د. إحسان عباس ، دار الشروق، عمان، الأردن ، ٢٠٠٦م
- قصة عقل، د. زكي نجيب محمود، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٨م.
- قصة نفس، د. زكي نجيب محمود، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٨م
- كتابة الرسائل العلمية الناجحة : دليل إرشادي خطوة خطوة ، لألن جلايثورن، ترجمة عبد الله عبد العزيز الهلادي، جامعة الملك فيصل، ١٤٢٨هـ.
- كشف المستور: أفكاري التي أحيا من أجلها ، د. منير الغضبان ، دكشق ، ٢٠٠٦م
- كيف تعد رسالة دكتوراه : تصنيفات وطرائق البحث والدراسة والكتابة : أمبرتو إيكو : ترجمة الدكتور علي متوفي، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٢م.
- كيف تختار بحثا أو رسالة؟: دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه، مكتبة النهضة المصرية، ط١٣ ، القاهرة ، ١٩٨١م.
- مسيرتي ومصر في القرن العشرين، د. مصطفي سويف، كتاب الهلال ، القاهرة، ع ٦٠٥ ، مايو ٢٠٠١م.
- مشيناها خطى، د. رءوف عباس، كتاب الهلال ، القاهرة ، ع ٦٤٨، ديسمبر ، ٢٠٠٤م
- مصر في عيون أبنائها : ثلث قرن من الزمان، عبدالله عنان، كتاب الهلال ، القاهرة ، ع٤٤٥، يناير ١٩٨٨م.
- مع الأيام ، شيء من الذكريات ، د. إبراهيم بيومي مدكور، كتاب الهلال ، القاهرةع ٤٧٨، أكتوبر ١٩٩٠م.

- معجم مصطلحات الأدب، ٩٦/٢لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ٢٠١٤م
- مناهج البحث العلمي : أسس وأساليب ، للدكتور عمار بوحوش، والدكتورمحمد محمود الذنيبات ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن ، ١٩٨٩م
- مناهجالبحث العلمي ، للدكتور عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط٣ ، ١٩٧٧م.
- مناهج البحث عند مفكري الإسلام : الدكتور علي سارة النشار، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠٠٨م.
- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي: فرانتز روزنتال، ترجمة الدكتور أنيس فريحة، وراجعه الدكتور وليد عرفات، دار الثقافة، بيروت ، ١٩٨٣م.
- المنطق الحديث ومناهج البحث، للدكتور محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة١٩٤٩م.
- المنطق ومناهج البحث ، للدكتور حسن الشافعي ، والدكتور رزاق الحجر ، دار الهاني ، القاهرة ، ٢٠١٠م.

فهرس الموضوعات